150

فائدة من

سورة الكهف

جمع

د. حاكم بن قاسم الحاكم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خلق فسوى، وقدر فهدى، وأخرج المرعى فجعله غثاء أحوى، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وعلى سائر من اقتفى أثره واتبع منهجه بإحسان إلى يوم الدين، **أما بعد:**

فإن القصص القرآني لا يزال نهرا متدفقاً، وبحرا فياضاً بالعبر والعظات التي نتنسم شذاها ونترسم خطاها، ونقتبس ضياها ونقتدي بهداها، عظة، وعبرة، وهداية، ورحمة، وحجج ساطعات، وآيات بينات تنطق بصدق هذا الكتاب المبين المنزل من عند رب العالمين، على قلب رسوله الأمين.

وسنقف في هذا المبحث مع سورة الكهف نقتطف منها الفوائد التفسيرية، والعلمية، والبلاغية، والفقهية، والتربوية، والتدبرية، وقد أسميته (**١٥ فائدة من سورة الكهف**).

[١] في التسمية:

سميت هذه السورةُ الكريمةُ بسورة الكهف[١]، وسورة أصحاب الكهف[٢]: نسبة إلى الكهف الذي أوى إليه الفتيةُ، فكان فيه نجاتُهم وعصمتُهم، وفي تسميتها بسورة " أصحاب الكهف": تنويهٌ على شرفهم وتخليدٌ لذكرهم، وتكريمٌ لهم، وتقديرٌ لثباتهم وتضحيتهم،[التفسير الموضوعي لسورة الكهف لأحمد الشرقاوي (ص ٢)].

[٢] في المناسبات:

استُهِلّت سورة الإسراء بالتنويه على الرحلة العجيبة "رحلة الإسراء "، وقد جاء الحديث في سورة الكهف عن رحلاتٍ أخرى عجيبةٍ، منها رحلةُ

(١) أخرج مسلم في صحيحه ((فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف))، كتاب الفتن باب ذكر الدجال وصفته وما معه (٤/ ٢٢٥٠)، رقم (٢٩٣٧).
(٢) أخرج الترمذي " فمن رآه منكم فليقرأ فواتح سورة أصحاب الكهف "، برقم (٢٢٤٠)،وقال حسن صحيح غريب، والنسائي (١٠٧٨٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٢٤٠).

أصحابِ الكهفِ، ورحلة موسى مع الخضر، ورحلات ذي القرنين[التفسير الموضوعي لسورة الكهف (ص ٢)].

[٣] في محور السورة:

محور هذه السورة يدور حول العصمة من الفتن والنجاة من شرورها وأخطارها، وهي فتن متنوعة: فتنة السلطان، وفتنة الأهل والعشيرة، وفتنة المال، وفتنة الولد، والاغترار بالدنيا الفانية، وفتنة إبليس اللعين، وفتنة العلم، وفتنة يأجوج ومأجوج، وفتنة الأهواء.

[٤] في نزول السورة:

هي من السور القديمة[١] التي نزلت بمكة، حيث لقي الرسول ﷺ ومن آمن معه كثيرا من المحن والابتلاءات على طريق الدعوة الذي حُفَّ بالعقبات والمكاره، وفي قصة أصحاب الكهف تسليةً وتسريةً وتثبيتا لقلب رسولنا ﷺ.

[٥] اشتملت هذه السورة على أربع فتن:

١) فتنة الدين وتمثلت في قصة أصحاب الكهف.

٢) وفتنة المال وتمثلت في قصة صاحب الجنتين.

٣) وفتنة العلم وتمثلت في قصة موسى مع الخضر عليهما السلام.

٤) وفتنة السلطة وتمثلت في قصة ذي القرنين.

وهذا السر الذي جعل سورة الكهف خصوصًا دون غيرها عصمة من الفتنة الكبرى وهي فتنة الدجال.

(١)أخرج البخاري (٤٧٣٩)، عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: ((بَنُو إِسْرَائِيلَ والكهفُ ومريمُ وطه، والأنبياء هُنَّ من العتاق الأُول، ومن تلادي)) يريد من قديم ما كتب وحفظ من القرآن.

[٦]سبب قراءة العشر الآيات من أول سورة الكهف[١] للعصمة من الدجال فيه أوجه:

١) ما في قصة أصحاب الكهف من العجب والآيات، فمن علمها لا يستغرب امر الدجال، ولا يفتن به.

٢) أن سورة الكهف حوت الفتن الأربع ،فتنة الدين، والمال، والعلم، والسلطة، وفتنة الدجال الفتنة الكبرى وفيها كل الفتن.

٣) أن هؤلاء الفتية منّ الله عليهم بالوقوف أمام ملك جبار طاغية، ،والدجال نظير ذلك الطاغية في الزمان الأول، وقراءة أولها عصمة منه.

٤) أن قوله تعالى:﴿ لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ ﴾ (الكهف: ٢) يهون بأس الدجال.

وقوله: ﴿ ويُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ (الكهف: ٢-٣)، يهون الصبر على فتن الدجال بما يظهر من نعيمه وعذابه.[كشف المشكل لابن الجوزي (١٦٦/٢)].

---

(١) أخرج مسلم في صحيحه ((من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، عصم من الدجال)) ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي رقم (٨٠٩).

[٧] قصة أصحاب الكهف:

لم تذكر قصة أصحاب الكهف إلا مرة واحدة في هذه السورة، كقصة يوسف، وقصة لقمان.

[٨] سورة الكهف واحدة من خمس سور افتتحت بالحمد، وهي على ترتيب المصحف:

١) الفاتحة: ﴿ **الحمد لله رب العالمين**﴾.

٢) الأنعام: ﴿ **الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور..**﴾.

٣) الكهف:﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ...**﴾.

٤) سبأ:﴿ **الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض..**﴾.

٥) فاطر: ﴿ **الحمد لله فاطر السماوات والأرض..**﴾.

[٩]قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ (الكهف: ١).

الحمد لله: هو الثناء عليه بصفاته، التي هي كلها صفات كمال، وبنعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، وأجل نعمه على الإطلاق، إنزاله الكتاب العظيم على عبده ورسوله، محمد ﷺ، وهو خبر من الله أنه حمد نفسه، وفي ضمنه إرشاد العباد ليحمدوه على إرسال الرسول إليهم، وإنزال الكتاب عليهم. [تفسير السعدي (ص ٤٦٩)]

[١٠]قوله تعالى:﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ (الكهف: ١).

قوله: ﴿ أَنزَلَ..﴾ من الآية: نعتقد ما كان يعتقده سلف الأمة من قبل وهو: أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، اتفق السلف على هذا وأجمعت الأدلة عليه، وخالف في ذلك البعض من أصحاب الفرق الضالة لكن لا عبرة بخلافهم.[محاسن التأويل للمغامسي (٤/٤٤)]

[١١] قوله تعالى:﴿الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ (الكهف:١).

آثر التعبير بقوله ﴿عَبْدِهِ﴾، ولم يجي التركيب (أنزل عليك)، لما في ﴿عَبْدِهِ﴾، من الإضافة المقتضية تشريفه [البحر المحيط في التفسير(١٣٥/٧)].

وفي التعبير عن الرسول ﷺبالعبد مضافاً إلى ضمير الجلالةِ تنبيهٌ على بلوغه ﷺ إلى أعلى معارجِ العبادةِ وتشريف له أي تشريف وإشعارٌ بأن شأنَ الرسولِ أن يكون عبداً للمرسِل لا كما زعمت النَّصارى في حقِّ عيسى عليه السلام[تفسير أبي السعود (٢٠٢/٥)]

[١٢] قوله تعالى:﴿الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ (الكهف:١)

العبودية ثلاث:

١) عبودية الرق ﴿ وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾(البقرة: ٢٢١).

٢) عبودية الخضوع﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾(مريم:٩٣).

٣) عبودية طاعة وتكون لله، ولغير الله، ومنه قوله ﷺ ((تعس عبد الدينار وعبد الدرهم...))[١].

[١٣] قوله تعالى:﴿الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ (الكهف:١)

﴿عَبْدِهِ﴾ يعني مُحَمَّداً ﷺ، وَصَفَهُ بالعبودية؛ لأنه أعبَدُ البَشَر لله، وقد وصَفه تعالى بالعبودية في حالات ثلاث:

١) حالِ إنزال القرآن عليه كما في هذه الآية.

٢) في حالِ الدفاعِ عنهُ ﷺ، قال تعالى:﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ..﴾ (البقرة: ٢٣)

٣) وفي حالِ الإسراءِ به، قال تعالى:﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ..﴾ (الاسراء: ١) وَصف الله نبيه ﷺ بأنه عبدٌ في أشرف المقامات. [تفسير الكهف لابن عثيمين (ص ٨)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/٣٤) رقم(٢٨٨٦)عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ ، قال: «تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش..»)

[١٤] قوله تعالى:﴿الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ (الكهف:١)

قوله: ﴿الْكِتَابَ﴾ أل: للمعهود الذهني وهو القرآن، وهناك معهود ذكري مثاله: قوله: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٥) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ (المزمل: ١٥-١٦)، أل: في قوله ﴿الرَّسُولَ﴾ معهود ذكري، لذكره قبل ذلك.

[١٥] قوله تعالى:﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا ﴾ (الكهف:١-٢).

يجب الوقوف على قوله: ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا﴾ لأنك لو وصلت لصار في الكلام تناقضٌ، إذ يوهمُ أن المعنى لم يكن له عوج قيِّم [تفسير الكهف لابن عثيمين (ص ٩)]

[١٦] قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا ﴾ (الكهف:١-٢)

بعد أن نفى عنه العِوَج: بيَّن كماله وتمامه بهذا الوصف ﴿قَيِّمًا﴾ فهو قيمٌ في ذاته، مُقِيمٌ لغيره، وهذا من باب " التخلية قبل التحلية "، فنفى عنه العوج، وأثبت له الكمالَ والإكمال في ألفاظه وتراكيبه، ومقاصده

وأساليبه.[التفسير الموضوعي لسورة الكهف:ص ١١].

[١٧] قوله تعالى:﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا ﴾ (الكهف:١-٢).

قوله ﴿ قَيِّمًا ﴾ أي: مستقيماً.

وقيل: قائماً على مصالح العباد في دينهم ودنياهم.

وقيل: مهيمناً على سائر الكتب الإلاهية مصدقاً لها وشاهداً بصحتها.

وقد جمع البقاعي بين المعاني المذكورة﴿ قَيِّمًا﴾ تصريحاً باللازم تأكيداً له، ومقيداً أنه مهيمن على ما قبله من الكتب مقيم لغيره. [نظم الدرر (٤/١٢)، التفسير المحرر سورة الكهف (١٦/١٥)]

[١٨] قوله تعالى: ﴿لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ﴾ (الكهف:٢).

الضمير في قوله: ﴿لِيُنذِرَ﴾يحتملُ أن يكون عائداً على﴿ عَبْدِهِ ﴾.

ويحتملُ أن يكون عائداً على ﴿الْكِتَابَ﴾ وكلاهما صحيح، فالكتاب نَزل على الرسول ﷺ لأجل أن يُنذِر به، والكتاب نفسُه مُنذِر، ينذر الناس.[تفسير الكهف لابن عثيمين (ص ٩)]

[١٩] قوله تعالى: ﴿لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ﴾ (الكهف:٢)

كلمة (بأس) وردت في القرآن على ثلاثة معانٍ:

١) وردت بمعنى: اللأواء والشدة والتضييق، ومنه قوله جل وعلا: ﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ﴾ (البقرة:٢١٤).

٢) ووردت بمعنى: العذاب: ﴿لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ (الكهف:٢) ونظيره قوله جل وعلا: ﴿فَمَنْ يَنصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾ (غافر:٢٩).

٣) ووردت بمعنى القتال والمعركة، ويدل عليه قوله جل وعلا: ﴿وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الأحزاب:١٨) معنى البأس: القتال واحتدام المعركة [محاسن التأويل للمغامسي(٥/٤٤)].

[٢٠] قوله تعالى: ﴿ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣)﴾ (الكهف:٢– ٣).

و العمل لا يكون صالحاً إلا بثلاثة أمور كما بينتها آيات أخر:

١) أن يكون العمل خالصاً لله ﴿وما أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾(البينة:٥).

٢) مطابق لما جاء به النبي ﷺ ﴿وما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾(الحشر:٧).

٣) أن يكون مبنياً على أساس الإيمان والعقيدة الصحيحة ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ (النحل:٩٧) فجعل الإيمان قيدا في ذلك. [أضواء البيان للشنقيطي(١٩٦/٣)].

[٢١]قوله تعالى: ﴿ يُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣)﴾ (الكهف:٢– ٣).

قوله:﴿أَجْرًا حَسَنًا﴾ الأجر المذكور يحتمل خيري الدنيا والآخرة، لكن وجدت قرينة تدل على أن المقصود: الآخرة وهي قوله: ﴿مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ [الكهف:٣]، ومعلوم أن أجر ونعيم الدنيا لا خلود فيه، ولا يعني هذا أنه ليس لهم أجر في الدنيا، فقد جاء هذا في آيات أخر.

[٢٢] قوله تعالى: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ (الكهف:٤).

الذين نسبوا لله الولد -تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً- هم ثلاث طوائف: اليهود والنصارى ومشركو العرب.

اليهود والنصارى جمعهم الله جل وعلا في آية واحدة وهي قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٣٠).

وأما مشركو العرب فقد جعلوا الملائكة بنات لله، قال الله جل وعلا: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ (النحل:٥٧) [محاسن التأويل للمغامسي(٦/٤٤)].

[٢٣] قوله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ (الكهف:٥).

قوله: ﴿كَبُرَتْ﴾ أي عظمت، بضم الباء كَبُرَ يكبُر، بمعنى عظُم يعظُم.

أما كَبِرَ، بالكسر فهي في الكلام عن العُمر فإن باء في الماضي تكسر (كَبِرَ)، وفي المضارع تفتح: يكْبَر.

قال قيس بن الملوح (مجنون ليلى):

صغيرين نرعى البَهْم يا لَيْت أننا   إلى اليوم لم نَكْبَرْ ولم تكْبَرِ البَهْمُ

وهنا لا يتكلم الله عن عمر ولا عن سن ولا عن أمد زمني، وإنما يتكلم عن فظاعة ما قالوه. [محاسن التأويل للمغامسي(٤٤/٧)]

[٢٤]قوله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ (الكهف:٥).

صوّر فظاعة اجترائهم على النطق بها بقوله تعالى: ﴿تخرج من أفواههم﴾ أي لم يكفهم خطورها في نفوسهم، وترددها في صدورهم، حتى تلفظوا بها.

وكان تلفظهم بها على وجه التكرير - بما أشار إليه التعبير بالمضارع﴿تَخْرُجُ﴾[نظم الدرر للبقاعي (٩/١٢)]

[٢٥]قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (الكهف:٦).

لعل للترجي في المحبوب وللإشفاق في المحذور.

قيل وضعت هنا موضع النهي، فالمعنى لا تبخع نفسك.

وقيل: وضعت موضع الاستفهام تقديره هل أنت باخع نفسك؟

وقيل: هي تقرير وتوقيف بمعنى الإنكار عليه أي لا تكن كذلك [التحرير والتنوير لابن عاشور (١٥/٢٥٥)].

[٢٦]قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (الكهف: ٦).

قوله: ﴿ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا ﴾ بصيغة الفعل المضارع المقتضية الحصول في المستقبل، أي إن استمر عدم إيمانهم.

وأتى باسم الإشارة (هذا) لزيادة تمييزه، وتقويه لحضوره في الأذهان [البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (٧/١٣٨)].

[٢٧]قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (الكهف: ٦).

قوله: ﴿ أَسَفًا﴾، قال ابن عطية: و"الأسف" في هذا الموضع "الحزن"، لأنه على من لا يملكه ولا هو تحت يد الأسف.

ولو كان الأسف من مقتدر على من هو في قبضته وملكه لكان "غضباً"، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونا﴾، (الزخرف: ٥٥)، أي أغضبونا، وإذا تأملت هذا في كلام العرب اطرد.[المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٤٩٦)].

[٢٨]قوله تعالى: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الكهف:٧).

لم يعلق الله سبحانه المدح بالكثرة " أكثر عملاً "، ولكن علقه بالحسن، وهو متكرر في القرآن، كقوله تعالى:﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ (الملك:٢).

[٢٩]قوله تعالى: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الكهف:٧).

قوله ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: أخلصه وأصوبه، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة، وهما أصلان عظيمان:

أحدهما: أن لا نعبد إلا الله. أي بـ (الإخلاص)

والثاني: أن لا نعبده إلا بما شرع لا نعبده بعبادة مبتدعة. أي بـ (الموافقة)

وهذان الأصلان هما تحقيق " شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله"

[مجموع الفتاوى لابن تيمية (١/٣٣٣)]

[٣٠]قوله تعالى: ﴿إنا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا﴾(الكهف: ٧).

﴿ إنا جَعَلْنَا ﴾ أي صَيَّرنا.

وجعل تأتي بمعنى: خلق وبمعنى صيَّر:

١) فإن تعدَّت لمفعولٍ واحدٍ فإنها بمعنى "خلق"، مثل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ (الأنعام: ١).

٢) وإن تعدَّت لمفعولين فهي بمعنى صَيَّر، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الزخرف: ٣): أي صيَّرناه بلغة العرب، وإنما نبَّهتُ على ذلك؛ لأن الجهمية يقولون: إنَّ الجعلَ بمعنى الخلق في جميع المواضع، ويقولون: معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّا﴾: أي خلقناه، ولكن هذا غلط على اللغة العربية[تفسير الكهف لابن عثيمين (ص ١٨)].

[٣١] قوله تعالى: ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ..﴾ (الكهف: ١٠)

قال الإمام ابن العربي: " فيه جواز الفرار من الظالم: وهي سنة الأنبياء والأولياء، وحكمة الله في الخليقة.[أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٢٣٢)].

وقال السعدي رحمه الله:" وفي هذه القصة دليل على أن من فر بدينه من الفتن، سلمه الله منها، وأن من حرص على العافية عافاه الله، ومن أوى إلى الله آواه الله، وجعله هداية لغيره، ومن تحمل الذل في سبيله وابتغاء مرضاته كان آخر أمره وعاقبته العز العظيم من حيث لا يحتسب ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ ﴾ (آل عمران:١٩٨)".[تفسير السعدي (ص ٤٧٣)].

[٣٢] قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ (الكهف: ١٠)

درس عملي للدعاة والمصلحين أن لا يغفلوا عن سلاح الدعاء مع مراعاة الأدب مع الله، وانتقاء العبارات المناسبة فلكل مقام مقال.

[٣٣]قوله تعالى:﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ (الكهف: ١١)

السمعُ هو الوسيلةُ الرئيسةُ في تنبيه النائم خاصة من ينام بمعزلٍ عن الناس، والنائم لا يسمع في العادة ما حوله من أصوات بمجرد استغراقه في النوم. وقيل خص الله جل وعلا الأذن بالذكر هنا دون البصر ليخبر بذلك أن نومهم يصبح ممتنعاً على غيرهم ولا يستطيع أن يوقظهم أحد، وهو رحمة بهذه الفئة.

[٣٤] قوله تعالى:﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ (الكهف: ١١).

لم يذكر الله جل وعلا هنا عدد السنين، ولكنه فسرها في آخر القصة، قال الله تعالى: فهذا من تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالقرآن له ثلاثة أنواع:

١) تفسير في نفس الآية: كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ (الهمزة: ٥ – ٦).

٢) وتفسير في نفس السورة لكنه يأتي بعد مرحلة: مثل هذه الآية فسر عدد السنين آخر القصة ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ (الكهف: ٢٥).

٣) وتفسير في غير السورة يعني: في سورة أخرى كقوله تعالى: ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ (الأنعام:) فسر بقوله تعالى: ﴿ إن الشرك لظلم عظيم﴾ (لقمان:)[محاسن التأويل للمغامسي (١٢/٤٤)].

[٣٥]قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْناهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصى لِما لَبِثُوا أَمَداً﴾(الكهف: ١٢).

سمى الله الاستيقاظ من النوم بعثاً لأن النوم وفاةٌ، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ..﴾ (الأنعام: ٦٠) وقال تعالى: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ

الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الزمر٤٢)

فالنوم وفاة. [تفسير الكهف لابن عثيمين (ص ٢٤).]

[٣٦]قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ﴾(الكهف: ١٣).

تقديم المسند إليه ﴿ نَحْنُ ﴾ على المسند الفعلي﴿ نَقُصُّ﴾ يفيد

الاختصاص، أي نحن لا غيرنا يقص قصصهم بالحق.[التحرير والتنوير

(١٥/٢٧١).]

[٣٧]قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾(الكهف:١٣)

قوله:﴿ فِتْيَةٌ﴾ من جموع القلة، ويدل على أنهم كانوا دون العشرة.

ووصفهم بالفتية ثناء عليهم بدلالة السياق، لأن الفتى يألف اللهو والباطل، فلما لم يصرفهم ذلك عن المعالي استحقوا التنويه، وهم أكثر استجابة من كبار السنة، لعدم تمكن البدع والشرك فيهم.

وفي التعبير بالفتوة كذلك بيان لحداثة سنهم، مع قوة إرادتهم وحماسهم

للحق. [تفسير السعدي (ص:٤٧١)].

[٣٨] قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ (الكهف:١٣).

قوله:﴿ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ ﴾ فيه التفات حيث لم يقل (آمنوا بنا) للإشعار بعلية وصف الربوبية لإيمانهم ولمراعاة ما صدر عنهم من المقالة حسبما سيحكى عنهم، وأنهم مربوبون له مملوكون.[تفسير أبي السعود (٥/٢٠٩)]

[٣٩]قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ (الكهف:١٣).

يفهم من هذه الآية أن من آمن بربه وأطاعه زاده ربه هدى ؛ لأن الطاعة سبب للمزيد من الهدى والإيمان.

استدل غير واحد من الأئمة -كالبخاري وغيره- بهذه الآية وأمثالها؛ كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ (محمد: ١٧)، وقوله:

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾(التوبة: ١٢٤)، على زيادة الإيمان وتفاضله، وأنه يزيد وينقص. [تفسير أضواء البيان (٣/٢١٣)].

[٤٠]:قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ (الكهف:١٣).

نال الفتية رعاية الله بـ: التوحيد، الرفقة الصالحة، الثبات، الهجرة والاعتزال، حسن الظن بالله، الدعاء، الشورى، اجتماع الكلمة، اتخاذ القرار العاقل.

[٤١]قوله تعالى:﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (الكهف: ١٤).

يفهم من هذه الآية الكريمة: أن من كان في طاعة ربه جل وعلا أنه تعالى يقوي قلبه، ويثبته على تحمل الشدائد، والصبر الجميل، وقد أشار تعالى إلى وقائع من هذا المعنى في مواضع أخر، كقوله في أم موسى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ

الْمُؤْمِنِينَ﴾ (القصص: ١٠). [أضواء البيان (٢١٣/٣).]

[٤٢] قول تعالى:﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ ﴾(الكهف:١٦).

قوله:﴿ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾ التعريف في ﴿ الْكَهْفِ﴾ يجوز أن يكون تعريف العهد، بأن كان الكهف معهودا عندهم يتعبدون فيه من قبل. ويجوز أن يكون تعريف الحقيقة مثل ﴿ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ ﴾(يوسف: ١٣)، أي فأووا إلى كهف من الكهوف.[التحرير والتنوير (٢٧٧/٥)].

[٤٣]:قوله تعالى:﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾(الكهف:١٦).

المشروع عند وقوع الفتن في الناس، أن يفر العبد منهم خوفا على دينه، كما جاء في الحديث: ((يوشك أن يكون خير مال أحدكم غنما يتبع بها شغف

الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن))[١].ففي هذه الحال تشرع العزلة عن الناس، ولا تشرع فيما عداها، لما يفوت بها من ترك الجماعات والجمع [تفسير ابن كثير (٥/١٤١)].

[٤٤]قوله تعالى:﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ (الكهف: ١٧)

لم يخبرنا بمكان هذا الكهف في أي البلاد من الأرض؛ إذ لا فائدة لنا فيه ولا قصد شرعي، وقد تكلف بعض المفسرين فذكروا فيه أقوالا، والله أعلم بأي بلاد الله هو، ولو كان لنا فيه مصلحة دينية لأرشدنا الله ورسوله إليه، فأعلمنا تعالى بصفته، ولم يعلمنا بمكانه [تفسير ابن كثير (٥/١٤٣)].

(١)أخرجه البخاري رقم (١٩)، عن أبي سعيد للخدري رضي الله عنه.

[٤٥]قوله تعالى:﴿ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾(الكهف:١٧).

أي: من الكهف أي: مكان متسع، وذلك ليطرقهم الهواء والنسيم، ويزول عنهم الوخم والتأذي بالمكان الضيق، خصوصا مع طول المكث [تفسير السعدي (ص ٤٧٢)].

[٤٦]قوله تعالى:﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ﴾(الكهف:١٧).

الهداية نوعان:

١) هداية توفيق وإلهام وهذه خاصة بالله، ومنها هذه الآية، وكذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(القصص: ٥١).

٢) هداية دلالة وارشاد من الأنبياء والعلماء ومنها قوله تعالى: ﴿و وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾(فصلت:١٧)، أي: هداية إرشاد برسولنا إليهم.

[٤٧]قوله تعالى:﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾(الكهف:١٨).

قال أهل التفسير: كانت أعينهم مفتوحة وهم نائمون، فلذلك كان الرائي يحسبهم أَيْقاظاً، ويحتمل أن يحسب الرائي ذلك لشدة الحفظ الذي كان عليهم وقلة التغير[تفسير ابن عطية (٣/٥٠٣)]، وذكر بعض أهل العلم أنهم لما ضرب الله على آذانهم بالنوم ، لم تنطبق أعينهم؛ لئلا يسرع إليها البلى، فإذا بقيت ظاهرة للهواء كان أبقى لها.[تفسير ابن كثير (٥/١٤٣)].

[٤٨]قوله تعالى:﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ (الكهف:١٨).

قوله: ﴿وَنُقَلِّبُهُم﴾ فيه دليل على أن فعل النائم لا ينسب إليه، ووجه الدلالة أن الله أضاف تقلبهم إليه، فلو أنّ النائم قال في نومه: "امرأتي طالق" أو "في ذمتي لفلان ألف ريال" لم يثبت لأنه لا قصد له ولا إرادة له؛ لا في القول؛ ولا في الفعل.[تفسير الكهف لابن عثيمين (ص ٣٥)].

[٤٩]قوله تعالى:﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾(الكهف:١٨).

قيل الحكمة من تقليبهم ذات اليمين وذات الشمال: لئلا تأكل الأرض أجسادهم، ولا تبلى ثيابهم، ولا تبطل قواهم البدنية بالركود والخمود وطول المكث، وحتى لا تترسب الأملاح في جهة واحدة فتتآكل أجسادهم وتتعرض للتلف والتعفن [تفسير ابن جرير (١٩١/١٥)، نظم الدرر (٢٩/١٢)].

وقيل: الحكمة من تقليبهم: من أجل توازن الدم في الجسد، حتى لا يكون في جانب واحد، [تفسير الكهف لابن عثيمين (ص ٣٥)]، ولا يمنع أن يكون لهذا كله.

[٥٠]قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ (الكهف:١٨).

شملت كلبهم بركتهم، فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال. وهذا فائدة صحبة الأخيار؛ فإنه صار لهذا الكلب ذكر وخبر وشأن، فهذه مخالطة كلب نال بها هذه الدرجة، فكيف بمخالطة المؤمنين للأولياء الصالحين. [تفسير ابن كثير (١٤٤/٥)].

[٥١]قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ (الكهف:١٨).

دليل على جواز اتخاذ الكلب للحراسة، حراسة الآدميين، أما حراسة الماشية فقد جاءت به السنّة، وحراسة الحرث جاءت به السنة [١]، وإذا جاز اتخاذ الكلب لحراسة الماشية والحرث أو للصيد الذي هو كمال فاتخاذه لحراسة البيت من باب أولى [تفسير الكهف لابن عثيمين (ص ٣٦)].

[٥٢] قوله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ (الكهف:١٨).

كلمة ﴿ بَاسِطٌ﴾ اسم والمراد بالجملة الإسمية: الاستمرار؛ لأن الاسم يلحق به الاستمرار أكثر مما يلحق بالفعل، ف (باسط) غير لو قال: يبسط؛ لأنها قابلة للتحريك لكن يظهر أن النوم الذي أصاب أصحاب الكهف أصاب كذلك الكلب. [تفسير الكهف لابن عثيمين (ص ٣٦)].

---

(١)ينظر ما أخرجه البخاري (٣/ ١٠٣) (٢٣٢٢) ومسلم(٣/ ١٢٠٣)، (١٥٧٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((من أمسك كلبا، فإنه ينقص كل يوم من عمله قيراط، إلا كلب حرث أو ماشية)).

[٥٣] قوله تعالى:﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ (الكهف:١٨).

وهذا نوع من الحماية لهم، والإشكال الوارد: أن الإنسان يرتعب أولاً ثم يفر، والله في هذه الآية قدم الفرار على الرعب، ولعله يجاب عن هذا بأن يقال: إن الرائي لهم يصيبه رعب فمن هول ذلك الرعب وقبل أن يتملكه، يسارع بالفرار.[محاسن التأويل للمغامسي(٣/٤٥)].

[٥٤]قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ﴾.

أي علم ظهور ومشاهدة، وإلا فإن الله لا يخفى عليه شيء سبحانه.

[تفسير الكهف لابن عثيمين (ص ٢٤)].

[٥٥] قوله تعالى:﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ...﴾(الكهف: ١٩)، فيها عدة فوائد:

منها: الحث على العلم، وعلى المباحثة فيه، لكون الله بعثهم لأجل ذلك.

ومنها: الأدب فيمن اشتبه عليه العلم، أن يرده إلى عالمه، وأن يقف عند حده.

ومنها: الأخذ فيما هو أهم وأنفع للنفس.

ومنها: حمل النفقة وما يصلح للمسافر، فحقيقة التوكل على الله تهيئة الأسباب.

ومنها: صحة الوكالة في البيع والشراء، وصحة الشركة في ذلك.[تفسير السعدي (ص٤٧٢)]

[٥٦]قوله تعالى: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾(الكهف:١٩).

قوله: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾، فيه الحث على التحرز، والاستخفاء، والبعد عن مواقع الفتن في الدين، واستعمال الكتمان في ذلك على الإنسان وعلى إخوانه في الدين، والحرص على بحث الأمان، وعدم تعريض النفس للمهالك [تفسير أبي السعود (٥/٢١٤)].

[٥٧]قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (٢٠) ﴾ (الكهف:٢٠).

ضميرُ الخطاب في المواضع الأربعة (عَلَيْكُمْ – يَرْجُمُوكُمْ – يُعِيدُوكُمْ- وَلَنْ تُفْلِحُوا) عيك للمبالغة في محل المبعوثِ على الاستخفاء وحثِّ الباقين على الاهتمام بالتوصية فإن محاض النُّصحِ أدخلُ في القَبول واهتمامُ الإنسان بشأن نفسِه أكثروا أوفر ﴿وَلَن تُفْلِحُواْ إِذًا﴾ أي إن دخلتم فيها ولو بالكرُه والإلجاء لن تفوزوا بخير ﴿أَبَدًا﴾ لا في الدنيا ولا في الآخرة وفيه من التشديد في التحذير مالا يخفى.[تفسير أبي السعود (٥/٢١٤)]

[٥٨]قوله تعالى: ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ (الكهف: ٢٠).

فيه إيثارُ كلمةِ (في) على كلمة (إلى) للدِلالة على الاستقرار الذي هو أشدُّ شيءٍ عندهم كراهة.[تفسير السعدي (ص٤٧٢)].

[٥٩] قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ (الكهف: ٢٠)

فيه تأكيد التحذير من الإرجاع إلى ملتهم بأنها يترتب عليها انتفاء فلاحهم في المستقبل، لما دلت عليه حرف (إذا) من الجزائية.

و﴿أَبَدًا﴾ ظرف للمستقبل كله، وهو تأكيد لما دل عليه النفي ب (لن) من التأبيد أو ما يقاربه.[التحرير والتنوير (١٥/٢٨٧)].

[٦٠] قوله تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾(الكهف: ٢١).

أخبر الله سبحانه عن الرؤساء وأهل السيطرة في ذلك الزمان أنهم قالوا هذه المقالة، وليس ذلك على سبيل الرضا والتقرير لهم وإنما هو على سبيل الذم

والعيب والتنفير من صنيعهم، ويدل على ذلك أن الرسول ﷺ الذي أنزلت عليه هذه الآية وهو أعلم الناس بتأويلها قد نهى أمته عن اتخاذ المساجد على القبور، وحذرهم من ذلك ولعن وذم من فعله.

ولو فرضنا أن اتخاذ المساجد على القبور جائز لمن قبلنا لم يجز لنا التأسي بهم في ذلك؛ لأن شريعتنا ناسخة للشرائع قبلها ورسولنا عليه الصلاة والسلام هو خاتم الرسل وشريعته كاملة عامة.[مجموع فتاوى ابن باز (١/٤٣٥)].

[٦١]قوله تعالى:﴿ (فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِراً﴾(الكهف:٢٢)

يؤخذ من الآية:

١) عدم المراء في شأنهم، وفي زمانهم، وفي مكانهم، وفي مآلهم.

٢) ألا يصل الجدال إلى القلب لأنه إذا وصل الجدال إلى القلب اشتد المجادل، وغضب وانتفخت أوداجه وتأثر، في أمرٍ ليس للجدال فيه كبير فائدة.

٣) المراء الظاهر هو الذي لا سبيل إلى إنكاره، ولا يطول الخوض فيه. [التحرير والتنوير (١٥/٢٩٤)، تفسير الكهف لابن عثيمين (ص ٤٣)].

[٦٢] قوله تعالى: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ (الكهف: ٢٢).

ولم يقل: رجماً بالغيب، بل سكت، وهذا يدل على أن عددهم سبعة وثامنهم كلبهم، لأن الله عندما أبطل القولين الأولين، وسكت عن الثالث صار الثالث صواباً. [تفسير الكهف لابن عثيمين (ص ٤٢)].

[٦٣] قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ (الكهف: ٢٢).

ورد ذكر كلبهم في القصة أربع مرات، وقد شغل هذا الكلب اهتمام بعض المفسرين والباحثين، فاستطردوا إلى الحديث عن اسمه ولونه وعن قصة لحاقه بهم، فاهتموا بتفصيلات لا فائدة منها ولا ثمرة في البحث عنها، غير أنها تدل على ثمرات الصحبة الطيبة وعموم نفعها وشمول بركتها، فهذا كلب جاء

ذكره في أشرف الكتب.[تأملات في قصة أصحاب الكهف لأحمد الشرقاوي(ص: ٤٨١)].

[٦٤]قوله تعالى:﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ (الكهف: ٢٢).

نكتة في مسألة العدد، فالله قال: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُم﴾، ولم يقل: ثمانية ثامنهم كلبهم، لأن الكلب من غير الجنس، وإذا كان من غير الجنس فإنه لا يدخل في العدد، ولكنه يجعل بعده، ولهذا قال الله عز وجل: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾(المجادلة:٧) ولم يقل من نجوى أربعة إلا هو رابعهم؛ لأنه خالق وهم مخلوقون [شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين (ص: ١٣٦)].

[٦٥]قوله تعالى:﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ ﴾ (الكهف: ٢٢).

أبهم تعالى على عموم الناس الإعلام بذلك لحكمة، وهي أن تتعود الأمة بترك الاشتغال فيما ليست منه فائدة للدين أو للناس[التحرير والتنوير (١٥/٢٩١)].

[٦٦] قوله تعالى:﴿ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم﴾ (الكهف: ٢٢).

فيها دليل على المنع من استفتاء من لا يصلح للفتوى، إما لقصوره في الأمر المستفتي فيه، أو لكونه لا يبالي بما تكلم به، وليس عنده ورع يحجزه، وإذا نهي عن استفتاء هذا الجنس، فنهيه هو عن الفتوى، من باب أولى وأحرى.

[تفسير السعدي (ص ٤٧٣)].

[٦٧]قوله تعالى:﴿ وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً﴾ (الكهف:٢٣).

إرشاد من اللّه تعالى لرسول اللّه ﷺ إلى الأدب فيما إذا عزم على شيء ليفعله في المستقبل أن يرد إلى مشيئة اللّه عزَّ وجلَّ علام الغيوب، وقرْنُ الفعل في المستقبل بمشيئة الله يستفيد منه الإنسان فائدتين عظيمتين:

إحداهما: تيسير لأمره وتسهيل له، وحصول البركة فيه، واستعانة البعد بربه.

والثانية: إن لم يفعل لم يحنث.[تفسير الكهف لابن عثيمين (ص ٤٦)].

[٦٨] قوله تعالى :﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ (الكهف:٢٤).

يؤخذ من عموم الآية: الأمر بذكر الله عند النسيان، فإنه يزيله، ويذكر العبد ما سها عنه، وكذلك يؤمر الساهي الناسي لذكر الله، أن يذكر ربه، ولا يكونن من الغافلين،[تفسير السعدي (ص ٤٧٤)].

[٦٩]قوله تعالى:﴿ لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الكهف: ٢٦)

فيه تقديم الخبر المجرور لإفادة الاختصاص، أي لله لا لغيره، ردا على الذين يزعمون علم خبر أهل الكهف ونحوهم.[التحرير والتنوير (٣٠٢/١٥)].

[٧٠]قوله تعالى:﴿ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ (الكهف:٢٦) فيها:

١) أن هذا أسلوب تعجب عربي، والمقصود: عظم سمع الله جل وعلا وبصره، وهذا أمر لا خلاف فيه بين أهل السنة.

٢) جواز إطلاق صيغة التعجب في صفات الله كقول ما أعظم الله وأجله

٣) مجي التعجب يدل على أنه يدرك ألطف الأشياء وأصغرها، كما يدرك اكبرها حجماً وأكثفها جرماً، ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر. [الإكليل للسيوطي (ص:١٧٠) تفسير الزمخشري (٧١٦/٢)]

[٧١] قوله تعالى:﴿ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ (الكهف: ٢٦).

يعني ليس لأحد ولي من دون الله، ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ﴾ (الأنعام: الآية٦٢)، والله ولي كُلِّ أحد، وهذه هي الولاية العامة، يرزقهم وييسر لهم ما في السموات.

أما الولاية الخاصة، فهي للمؤمنين. قال تعالى:﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا..﴾ (البقرة: الآية٢٥٧)، والولاية الخاصة تستلزم عناية خاصة، أن الله يسدد العبد فيفتح له أبواب العلم النافع والعمل الصالح.[تفسير الكهف لابن عثيمين (ص ٥٣-٥٤)].

[٧٢] قوله تعالى:﴿وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً﴾(الكهف: ٢٦).

أبلغ في نفي الشريك من أن يقال: من ولي ولا شريك [تفسير أبي السعود (٥/٢١٨)].

[٧٣] قوله تعالى:﴿وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً﴾(الكهف: ٢٦).

هذه الآية كقوله تعالى:﴿إن الحكم إلا لله﴾ (الأنعام: ٥٧)، والحكم كوني وشرعي، فالخلق والتدبير حكم كوني، والحكم بين الناس بالأوامر والنواهي حكم شرعي، وقوله:﴿وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدا﴾ يشمل النوعين. فلا أحد يشرك الله في حكمه لا الكوني ولا الشرعي.[تفسير الكهف لابن عثيمين (ص٥٤)].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾، وهذا يشمل الحكمَ الكونيَّ القدريَّ، والحكمَ الشرعيَّ الدينيَّ، فإنه الحاكم في خلقه، قضاء وقدرا، وخلقا وتدبيرا، والحاكم فيهم، بأمره ونهيه، وثوابه وعقابه فلا تدبير إلا تدبيره، ولا حكم إلا حكمه.

[٧٤]قوله تعالى:﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾ (الكهف: ٢٧).

قوله:﴿وَاتْلُ﴾ يشمل التلاوة اللفظية والتلاوة العملية، أمّا التلاوة اللفظية فظاهر، تقول: "فلان تلا علي سورة الفاتحة"، والتلاوة الحكمية العملية أن تعمل بالقرآن، فإذا عملت به فقد تلوتَه أي تَبعتَه، ولهذا نقول في قوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ (فاطر: الآية٢٩) يشمل التلاوة اللفظية والحكمية.[تفسير الكهف لابن عثيمين (ص٥٥)].

[٧٥] قوله تعالى:﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾ (الكهف: ٢٧).

ولكن اعلم أن الخطاب للرسول ﷺ ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: ما دلَّ الدليل على أنه خاص به، فهو خاص به كقوله تبارك وتعالى:﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (الشرح: ١).

الثاني: ما دلَّ الدليل أنه للعموم، فهو للعموم. كقوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾(الطلاق: الآية ١)، فقوله: ﴿طَلَّقْتُمُ﴾ للجماعة؛ وهم الأمة، لكن الله سبحانه وتعالى نادى زعيمها ورسولها لأنهم تابعون له فقال:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾، إذاً الخطاب يشمل النبي ﷺ وجميع الأمة.

الثالث: ما يحتمل الأمرين، فقيل: إنه عام، وقيل: إنه خاص، وتتبعه الأمة لا بمقتضى هذا الخطاب، ولكن بمقتضى أنه أسوتها وقدوتها، مثل هذه الآية:﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾، والصواب أن الخطاب للأمة ولكن وُجِّه لزعيمها وأسوتها؛ لأن الخطابات إنما توجه للرؤساء والمتبوعين [تفسير الكهف لابن عثيمين (ص٥٥)].

[٧٦] قوله تعالى:﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾ (الكهف: ٢٧).

في إضافة الرب إلى الرسول عليه الصلاة والسلام دليل على أن ما أوحاه الله إلى رسوله من تمام عنايته به.[تفسير الكهف لابن عثيمين (ص٥٦)].

[٧٧] قوله تعالى: ﴿ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ (الكهف: ٢٧).

أي لا أحد يستطيع أن يبدل كلمات الله الشرعية، فيحرف القرآن بتغيير أخباره وتبديل أحكامه، أو صرفها عن معانيها الصحيحة ولا أن يغير كلماته الكونية.[تفسير الزمخشري (٧١٦/٢)]

[٧٨] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الكهف:٢٨)

لم يرد النبي ﷺ أن يفعل ذلك، ولكن الله نهاه عن أن يفعله، وليس هذا بأكثر من قوله:﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ (الزمر: ٦٥)، وإن كان الله أعاذه من الشرك،[تفسير القرطبي (٣٩١/١٠)].

[٧٩] قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...﴾(الكهف: ٢٨)، فيها:

- الأمر بصحبة الأخيار، ومجاهدة النفس على صحبتهم، ومخالطتهم وإن كانوا فقراء فإن في صحبتهم من الفوائد، ما لا يحصى.[تفسير السعدي (ص: ٤٧٥)].
- أن مجالسة الصالحين مأثورة على مجالس غيرهم، ومندوب إليها المؤمنون.
- حمل النفس على المكاره والتماس القربة إلى الله وصرفها عن الهوى.
- فيه فضل الإخلاص، فعليه مدار كل شيء.
- فضل الاجتماع على الذكر والدعاء. [النكت للقصاب (١٩٦/٢)].

[٨٠]قوله تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾الكهف: ٢٨).

فيه دلالة على أن الدعاء بالغدوات والعشيات أفضل وأجدر بالإجابة.

[النكت للقصاب (١٩٦/٢)].

[٨١]قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ (الكهف:٢٨).

فيها دلالة على أن ذكر الله عز وجل هو ذكر القلب وأما ذكر اللسان مجردا عن ذكر القلب فإنه ناقص، ويدل لهذا قوله عز وجل ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه﴾ ولم يقل من أمسكنا لسانه عن ذكرنا قال من أغفلنا قلبه عن ذكرنا فالذكر النافع هو ذكر القلب وذكر القلب يكون في كل شيء.[شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٤٦٠/٥)].

[٨٢]قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ (الكهف:٢٨).

في هذه الآية إشارة إلى أهمية حضور القلب عند ذكر الله، وأن الإنسان الذي يذكر الله بلسانه لا بقلبه تنْزَع البركة من أعماله وأوقاته حتى يكون أمره فُرطا عليه، تجده يبقى الساعات الطويلة ولم يحصل شيئاً، ولكن لو كان أمره مع الله لحصلت له البركة في جميع أعماله.[تفسير الكهف لابن عثيمين (ص٥٦)].

[٨٣]قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ (الكهف:٢٨).

غفل عن الله، فعاقبه بأن أغفله عن ذكره، كم في قوله ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ (التوبة: ٦٧)، وقوله ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ (الصف: ٥).

[٨٤] قوله تعالى: ﴿ وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ (الكهف:٢٨)

الذكر هنا نوعان: إما ذكر الله، أو الذكر القرآن فيكون المعنى: اغفلنا قلبه عن ذكره إيَّانا أو عن الذكر الذي أنزلناه، فعلى الأول يكون المراد الإنسان الذي يذكر الله بلسانه دون قلبه، وعلى الثاني يكون المراد الرجل الذي أغفل الله قلبه عن القرآن، فلم يرفع به رأساً ولم ير في مخالفته بأساً، [تفسير الكهف لابن عثيمين (ص٦٢)].

[٨٥]قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ (الكهف:٢٨).

حجة على المعتزلة والقدرية لقوله: ﴿أَغْفَلْنَا﴾، ولم يقل: (غفلوا) ثم قال: ﴿وَأَتَّبَعَ هَوَاهُ﴾، ولم يقل: (وأتبعناه هواه)، ففيه أكبر الدليل على أن إضافة أفعالهم إليهم في مواضع الإضافة في القرآن غير دافع فعله بهم وإرادته فيهم إذ قد يجمع بينهما في حرف واحد كما ترى،[النكت للقصاب (٢/٢٠٤)].

[٨٦]قول تعالى: ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (الكهف: ٢٩).

فإن قيل: قول تعالى: ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ إباحة واطلاق للكفر ؟

قلنا: قال ابن عباس رضي الله عنهما: معناه فمن شاء ربكم فليؤمن ومن شاء ربكم فليكفر، يعني لا إيمان ولا كفر إلا بمشيئة الله تعالى، الثاني: أنه تهديد ووعيد، الثالث: أن معناه لا تنفعون الله بإيمانكم ولا تضرونه بكفركم، فهو إظهار للغني لا إطلاق للكفر.

[٨٧] قول تعالى: ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (الكهف: ٢٩).

المراد من الأمر هنا: التهديد والتخويف والوعيد الشديد، لا التخيير بين الكفر والإيمان ويدل عليه السياق، وما جاء بعدها:﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ

نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ (الكهف:٢٩). [نص عليه ابن جرير(١٥/٢٤٤)، والقرطبي (١٠/٢٩٣)].

[٨٨]قول تعالى: ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (الكهف:٢٩).

الآية تدل على أنه تعالى لا ينتفع بإيمان المؤمنين ولا يستضر بكفر الكافرين بل نفع الإيمان يعود عليهم وضرر الكفر يعود عليهم كما قال تعالى: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾(الإسراء: ٧).

[٨٩]قول تعالى: ﴿ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾(الكهف:٢٩).

المهل: ما اذيب من جواهر الأرض، وقيل: دري الزيت، وقيل هو نوع من القطران وقيل السم، قال ابن كثير بعد ذكره لمعاني المهل: وهذه الأقوال ليس شيء منها ينفي الآخر، فإن المهل يجمع هذه الأوصاف الرذيلة كلها، فهو أسود منتن غليظ حار. [تفسير ابن كثير (٥/١٥٥)].

[٩٠]قوله تعالى: ﴿إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾(الكهف: ٣٠)

لم يقل "إنَّا لا نضيع أجرهم"، ولكن قال تعالى:﴿أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ وذلك لبيان العلة في ثواب هؤلاء وهو أنهم أحسنوا العمل، و ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (الرحمن: ٦٠)، هذا من الوجه المعنوي، ومن الوجه اللفظي أن تكون رؤوس الآية متوافقة ومتطابقة، لأنه لو قال: "إنَّا لا نضيع أجرهم" لاختلفت رؤوس الآيات، [تفسير الكهف لابن عثيمين (ص ٦٤)].

[٩١]قوله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ (الكهف: ٣١).

فإن قيل: لبس الأساور في الدنيا عيب للرجال، ولهذا لا يلبسها من يلبس الذهب والحرير من الرجال، فكيف وعدها الله تعالى المؤمنين في الجنة ؟

قلنا: كانت عادة ملوك الفرس والروم لبس الأساور والتيجان مخصوصين بها دون من عداهم، فلذلك وعدها الله تعالى المؤمنين في الجنة لأنهم ملوك الآخرة.

[٩٢]قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴾ (الكهف: ٣٥).

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾ ذكرت بلفظ الإفراد مع أنه قال: (جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ) فإما أن يقال: إن المراد بالمفرد الجنس، وإما أن يراد إحدى الجنتين، وتكون العظمى هي التي دخلها. [تفسير الكهف لابن عثيمين (ص ٦٩)].

[٩٣]قوله تعالى:﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ (الكهف:٣٥). فإن قيل: كيف أفرد تعالى الجنة بعد التثنية فقال: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾ ؟

قلنا: أفردها ليدل على الحصر، معناه ودخل ما هو جنته لا جنة له غيرها ولا نصيب له في الجنة التي وعد المتقون، بل ما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير، ولم يقصد جنة معينة منهما بل جنس ما كان له.

[٩٤]قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً﴾ (الكهف: ٤٠).

قوله: (مِنَ السَّمَاءِ) خصَّ السماء لأن ما جاء من الأرض كالأمطار والسيول الجارفة أو النيران المحرقة، يمكن أن تُدافع، لكن ما نزل من السماء يصعب دفعه أو يتعذر،[تفسير الكهف لابن عثيمين (ص ٧٤)].

[٩٥]قوله تعلى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ﴾[الكهف: ٤٦]

تقديم المال على البنين لأنه أسبق في الذهن، لأنه يرغب فيه الجميع، وأن أحدًا لا ينازع ماله، لكن قد ينازع ابنه.

[٩٦] قوله تعالى:﴿ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ (الكهف: ٤٤). ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ﴾ فيها قراءتان:

١) الوِلاية . ٢) الوَلاية.

فالوَلاية: بمعنى النُّصرة، كما قال تعالى:﴿مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ (لأنفال: ٧٢).

والوِلاية: بمعنى الملك والسلطة، فيوم القيامة لا نصرة ولا ملك إلاَّ (لِلَّهِ الْحَقِّ)، وإذا كان ليس هناك انتصار ولا سلطان إلا لله فإن جميع من دونه لا يفيد صاحبه شيئاً.[تفسير الكهف لابن عثيمين (ص ٧٦)].

[٩٧]قوله تعالى:﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾(الكهف: ٤٦).

﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ هي الأعمال الصالحات من أقوال وأفعال ومنها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، ومنها الصدقات والصيام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك، هذه الباقيات الصالحات.[تفسير الكهف لابن عثيمين (ص ٧٩)].

[٩٨]قوله تعالى:﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾(الكهف: ٤٨).

أي يقال لهم ذلك. وهذه الجملة مؤكدة بثلاثة مؤكدات: اللام وقد والقسم المقدر، يعني والله لقد جئتمونا.[تفسير الكهف لابن عثيمين (ص ٨٣)].

[٩٩]قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ..﴾ (الكهف: ٥٠)

(اسْجُدُوا لِآدَمَ) قال بعضهم: سجود تحية، وليس سجوداً على الجبهة، لأن السجود على الجبهة لا يصح إلا لله والأصل أنه سجود على الجبهة. وإذا كان امتثالاً لأمر الله لم يكن شركاً كما أن قتل النفس بغير حق من كبائر الذنوب، وإذا وقع امتثالاً لأمر الله كان طاعة من الطاعات، فالسجود لآدم لولا أمر الله لكان شركاً، لكن لما كان بأمر الله كان طاعة لله.[تفسير الكهف لابن عثيمين (ص ٨٨-٨٩)].

[١٠٠] قوله تعالى: ﴿فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾ (الكهف: ٥٣)

﴿فظنوا﴾ أي أيقنوا: ﴿مُوَاقِعُوهَا﴾ والظن يأتي بمعنى اليقين كما في قوله تعالى: ﴿الذين يظنون أنهم ملتقوا ربهم﴾(البقرة: ٤٦)، أي: يوقنون أنهم ملاقو الله، وإلاَّ فالظن الذي هو ترجيح أحد الأمرين المشكوك فيهما لا يكفي في الإيمان. [تفسير السعدي (ص ٤٨١)].

[١٠١]قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ (الكهف: ٦٠).

منها: البداءة بالأهم فالأهم، فإن زيادة العلم وعلم الإنسان أهم من ترك ذلك، والاشتغال بالتعليم من دون تزود من العلم، والجمع بين الأمرين أكمل. [تفسير الكهف لابن عثيمين (ص ٩٥)].

[١٠٢] قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ (الكهف: ٦١).

﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ أضاف الفعل إليهما مع أن الناسي هو الفتى وليس موسى، ولكن القوم إذا كانوا في شأن واحد وفي عمل واحد، نسب فعل الواحد منهم أو القائل منهم إلى الجميع، ولهذا يخاطب الله عز وجل بني إسرائيل في عهد الرسول ﷺ فيقول:﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ (البقرة: الآية٥٥)، مع أنهم ما قالوا هذا؛ لكن قاله أجدادهم.[تفسير الكهف لابن عثيمين (٣/٢٨٦)].

[١٠٣]قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ (الكهف: ٦٢) فيها:

- اتخاذ الزاد للسفر، وأن لاينا في التوكل.
- جواز إخبار الإنسان عما هو من مقتضى طبيعة النفس، من نصب أو جوع، أو عطش، إذا لم يكن على وجه التسخط وكان صدقا

- ومنها: استحباب إطعام الإنسان خادمه من مأكله، وأكلهما جميعا، لأن ظاهر قوله: ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا﴾ إضافة إلى الجميع، أنه أكل هو وهو جميعا. [تفسير السعدي (ص ٤٨٢)].

[١٠٤] قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ (الكهف: ٦١)

نسي موسى عليه الصلاة والسلام أن يطلبه ويتعرف حاله، ويوشع أن يذكر له ما رأى من حياته ووقوعه في البحر. [تفسير البيضاوي (ص ١٠٩)].

[١٠٥]: قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً﴾ (الكهف: ٦١).

أن هذا الحوت من آيات الله، أولاً: أنه قد مات، وأنهما يقتاتان منه، ثم صار حياً ودخل البحر ثانياً: أنه صار طريقه مثل السرب، والسرب هو السرداب يعني أنه يشق الماء ولا يتلاءم الماء، وهذا من آيات الله تبارك وتعالى. [تفسير البيضاوي (ص ١٠٩)].

[١٠٦] قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾ (الكهف: ٦٣).

الصحيح عند علماء السلف أن حقيقة النسيان والإنساء والتذكير والتذكر كحقيقة أي معنى من المعاني، وأنها كلها من الله: ﴿قل كل من عند الله ﴾ [النساء: ٧٨]، ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا﴾[التوبة: ٥١]، وإسناد الإنساء إلى الشيطان من باب قول الخليل عليه السلام: ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ [الشعراء: ٨٠] تأدبا في الخطاب مع الله تعالى.[أضواء البيان للشنقيطي (٥٧/٨)].

[١٠٧]قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾ (الكهف: ٦٣).

فيه دليل على أن النسيان من الشيطان كما دلت عليه آيات أخر، كقوله تعالى: ﴿وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ [الأنعام: ٦٨]، وقوله تعالى: ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ [يُوسف: ٤٢]، وقوله تعالى: ﴿استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله﴾ الآية [المجادلة: ١٩].

[١٠٨] قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾ (الكهف: ٦٣).

إضافة الشر وأسبابه إلى الشيطان، على وجه التسويل والتزيين، وإن كان الكل بقضاء الله وقدره، لقول فتى موسى: ﴿وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾. [تفسير السعدي (ص ٤٨٢)].

[١٠٩]قوله تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ (الكهف: ٦٥).

أن ذلك العبد الذي لقياه، ليس نبيا، بل عبدا صالحا، لأنه وصفه بالعبودية، وذكر منة الله عليه بالرحمة والعلم، ولم يذكر رسالته ولا نبوته، ولو كان نبيا، لذكر ذلك كما ذكره غيره.

وأما قوله في آخر القصة: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ فإنه لا يدل على أنه نبي وإنما يدل على الإلهام والتحديث، كما يكون لغير الأنبياء، كما قال تعالى

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾(القصص:) ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ (النحل:٦٨)،[تفسير السعدي (ص ٤٨٢)].

[١١٠] قوله تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ (الكهف: ٦٥)، فيها:

- تنكير ﴿ عَبْدًا﴾ للتفخيم، والإضافة في ﴿ عِبَادِنَا﴾ للتشريف والاختصاص.
- أن العلم الذي يعلمه الله لعباده نوعان:

١) علم مكتسب يدركه العبد بجده واجتهاده.

٢) ونوع علم لدني، يهبه الله لمن يمن عليه من عباده لقوله ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾

- والمخالفة بين ﴿ مِنْ عِنْدِنَا﴾، وبين ﴿ مِنْ لَدُنَّا﴾ للتفنن، تفادياً من إعادة الكلمة [تفسير السعدي (ص ٤٨١)، تفسير ابن عاشور (١٥/٣٦٩).].

[١١١]قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ (الكهف:٦٦) فيها:

- دليل على حسن التلطف والاستنزال، والأدب في طلب العلم.
- التلطف بالإشارة إلى أنه لا يطلب جميع ما عنده ليطول عليه الزمان بل جوامع منه يسترشد بها إلى باقيه فقال: ﴿مما علمت﴾.
- فيه إشارة إلى أن حق المعلم على المتعلم اتباعه والاقتداء به.
- فيه دليل على أن المتعلم تبع للعالم وإن تفاوتت المراتب.
- فيه تفاضل الفاضل للتعلم ممن دونه
- يؤخذ منه جواز التعاقد على تعليم القرآن، والعلم، فصيغة (أفعل كذا على كذا) من صيغ الالتزام والتعاقد.[تفسير القرطبي (١٧/١١)، تفسير أبي حيان (٢٠٥/٧)، نظم الدرر للبقاعي (١٠٨/١٢)]

[١١٢]قوله تعالى: ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ (الكهف:٦٨).

أن من ليس له قوة الصبر على صحبة العالم والعلم، وحسن الثبات على ذلك، أنه يفوته بحسب عدم صبره كثير من العلم فمن لا صبر له لا يدرك العلم.

ومنها: أن السبب الكبير لحصول الصبر، إحاطة الإنسان علما وخبرة، بذلك الأمر، الذي أمر بالصبر عليه.[تفسير السعدي (ص ٤٨٢)].

[١١٣] قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ (الكهف: ٧٠)

ومنها: الأمر بالتأني والتثبت، وعدم المبادرة إلى الحكم على الشيء، حتى يعرف ما يراد منه وما هو المقصود.[تفسير السعدي (ص ٤٨٢)].

[١١٤] قوله تعالى: ﴿ قالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ (الكهف: ٦٩) فيها:

- دليل أن أفعال العباد واقعة بمشيئة الله تعالى.
- المستحب في الاستثناء يكون في ابتداء الكلام.
- تعليق الأمور المستقبلية التي من أفعال العباد بالمشيئة، وأن لا يقول الإنسان للشيء: إني فاعل ذلك في المستقبل، إلا أن يقول ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾.
- أن العزم على فعل الشيء، ليس بمنزلة فعله، فإن موسى قال: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾ فوطن نفسه على الصبر ولم يفعل.
- أن تعلّيق الصبر بمشيئة الله لئلّا يكون ذلك اعتزازاً بنفسه وإعجاباً بها، وقد وعده بشيئين:

الصبر على ما يفعل، والائتمار بما يأمر، والانتهاء عما ينهى، [تفسر الماتريدي (١٩٣/٧)، تفسير البيضاوي (٢٨٨/٣)، تفسير السعدي (ص ٤٨٢)]

[١١٥]قوله تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ ﴾(الكهف: ٧١).

﴿فَانْطَلَقَا﴾ الفاعل موسى والخضر، وسكت عن الفتى؟ الذي يظهر – والله أعلم – أنه كان تابعاً، لكن لم يكن له تعلق بالمسألة، والأصل هو موسى فطوي ذكره.[تفسير الكهف لابن عثيمين (ص ١١٥)].

[١١٦]قوله تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً﴾ (الكهف: ٧١).

﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ واللام في قوله: ﴿لِتُغْرِقَ﴾ ليست للتعليل ولكنها للعاقبة، يعني أنك إذا خرقتها غرق أهلها، ولأنه لو أراد أن يغرق أهلها لكان أول من يغرق هو وموسى، لكن اللام هنا للعاقبة ولام العاقبة ترد في غير موضع في القرآن، مثل قول الله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً﴾ (القصص:٨) فآل فرعون لم يلتقطوه ليكون لهم عدواً وحزناً ؟ فاللام هذه للعاقبة.[تفسير الكهف لابن عثيمين (ص ١١٦)].

[١١٧] قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾(الكهف: ٧١)، فيها:

- اللام الواقعة في ﴿ لِتُغْرِقَ﴾ ليست للتعليل، ولكنها للعاقبة.
- نسيان نفسه عند ما قال: ﴿أَخَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهْلَها﴾ وهو بين الراكبين وهو جدير بأن ينهمك بأمر نفسه وما هو مقدم عليه من سوء المصير وإنما حمله على المبادرة بالإنكار الالتهاب والحمية للحق فنسي نفسه واشتغل بغيره. [تفسير الكهف لابن عثيمين (ص ١١٥)].

[١١٨]قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾(الكهف: ٧١)

قال حين خرق السفينة: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾(الكهف: ٧١)، وقوله له عند قتل الغلام: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾(الكهف: ٧٤)، للسائل أن يسأل عن الفرق بين الموضعين؟

الجواب: أن خرق السفينة لم يبلغ بحيث يتلفها، وإنما قصد به الخضر عيبها ليزهد فيها مريد غصبها بدليل قوله بعد: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ (الكهف: ٧٩)، فإنما أراد إبقاءها على مالكها ودفع هذا الغاصب إذا رأى ما بها من العيب المانع من الرغبة فيها، وهو دون النكر.

وأما البادي الظاهر من قتل الغلال عند من يغيب عنه ما علمه من الخضر فشيء نكر، ومرتكب عند من لحظه بظاهره وغاب عنه ما في طيه شنيع ووزر، فوقع التعبير في الموضعين بما يناسب كلا الفعلين، وعن قتادة رحمه الله: (النُكر أشد من الإمر) فجاء كل على ما يلائم.[ملاك التأويل للغرناطي (٣٢٢/٢)].

[١١٩]قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾(الكهف: ٧١)

ومنها: القاعدة الكبيرة أيضا وهي أن " عمل الإنسان في مال غيره، إذا كان على وجه المصلحة وإزالة المفسدة، أنه يجوز، ولو بلا إذن حتى ولو ترتب على عمله إتلاف بعض مال الغير "كما خرق الخضر السفينة لتعيب، فتسلم من غصب الملك الظالم. فعلى هذا لو وقع حرق، أو غرق، أو نحوهما، في دار إنسان أو ماله، وكان إتلاف بعض المال، أو هدم بعض الدار، فيه سلامة للباقي، جاز للإنسان بل شرع له ذلك، حفظا لمال الغير، وكذلك لو أراد ظالم أخذ مال الغير، ودفع إليه إنسان بعض المال افتداء للباقي جاز، ولو من غير إذن. [تفسير السعدي (ص ٤٨٢)].

[١٢٠]قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ (الكهف: ٧٢).

فإن قيل: كيف قال تعالى في قصة السفينة: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ﴾ (الكهف: ٧٢) وفي قصة الغلام: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لك إِنَّكَ﴾ (الكهف: ٧٥) ؟

قلنا: لقصد زيادة المواجهة بالعتاب على رفض الوصية مرة ثانية، وللتنبيه على تكرر ترك الصبر والثبات.[فتح الرحمن لزكريا الأنصاري (٣٤٥)].

[١٢١]قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾(الكهف: ٧٣).

أن الناسي غير مؤاخذ بنسيانه لا في حق الله، ولا في حقوق العباد لقوله: ﴿لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾،[تفسير السعدي (ص ٤٨١)، تفسير ابن عاشور (١٥/٣٦٩)].

[١٢٢] قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾(الكهف: ٧٣).

أنه ينبغي للإنسان أن يأخذ من أخلاق الناس ومعاملاتهم، العفو منها، وما سمحت به أنفسهم، ولا ينبغي له أن يكلفهم ما لا يطيقون، أو يشق عليهم ويرهقهم، فإن هذا مدعاة إلى النفور منه والسآمة، بل يأخذ المتيسر ليتيسر له الأمر،[تفسير السعدي (ص ٤٨٢)].

[١٢٣]قوله تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلاماً فَقَتَلَهُ ﴾(الكهف: ٧٤).

قوله تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا﴾ بعد أن أرست السفينة على الميناء. ﴿حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلاماً فَقَتَلَهُ﴾ ولم يقل "قتله"، وفي السفينة قال: ﴿أَخَرَقْتَهَا﴾ ولم يقل: "فخرقها"، يعني كأن شيئاً حصل قبل القتل فقتله.[تفسير الكهف لابن عثيمين (ص ١١٧)].

[١٢٤] قوله تعالى: ﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلاماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً﴾(الكهف: ٧٤)

قوله: ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً﴾ وفي قراءة (زاكية) لأنه غلام صغير، والغلام الصغير تكتب له الحسنات، ولا تكتب عليه السيئات، إذاً فهو زكي لأنه صغير ولا تكتب عليه السيئات.[تفسير الكهف لابن عثيمين (ص ١١٧)].

[١٢٥]قوله تعالى: ﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلاماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً﴾(الكهف: ٧٤)

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً﴾ هذه العبارة أشد من العبارة الأولى. في الأولى قال: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إمراً﴾، ولكن هنا قال: ﴿نُكْراً﴾ أي منكراً عظيماً، والفرق بين هذا وهذا، أن خرق السفينة قد يكون به الغرق وقد لا يكون وهذا هو الذي حصل، لم تغرق السفينة، أما قتل النفس فهو منكر حادث ما فيه احتمال.[تفسير الكهف لابن عثيمين (ص ١١٨)].

[١٢٦] قوله تعالى: ﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلاماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً﴾ (الكهف: ٧٤)

القاعدة الكبيرة الجليلة وهو أنه " يدفع الشر الكبير بارتكاب الشر الصغير " ويراعي أكبر المصلحتين، بتفويت أدناهما، فإن قتل الغلام شر، ولكن بقاءه حتى يفتن أبويه عن دينهما، أعظم شرا منه. [تفسير السعدي (ص:٤٨٢)].

[١٢٧] قوله تعالى: ﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلاماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً﴾(الكهف: ٧٤)

أن قلوب المؤمنين مجبولة على إنكار المنكر، وغير مالكة للصبر على احتماله، لأن موسى – صلى الله عليه – وعد الخضر أن يصبر على ما يراه منه، فلما رأى ما أنكره عليه. [النكت للقصاب (٢/٢١٥)].

[١٢٨] قوله تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا﴾ (الكهف:٧٧).

وإظهار لفظ أهلها دون الإتيان بضميرهم بأن يقال: استطعماهم، لزيادة التصريح، تشنيعا بهم في لؤمهم، إذ أبوا أن يضيفوهما.[تفسير ابن عاشور (١٦/٧)].

[١٢٩] قوله تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا﴾ (الكهف:٧٧).

ومنها: أن للمسافر أن يستطعم من ينزل به إذا عدم ما يأكله، ولا تكون مسألة، لأنهما سألا حقهما لوجوب الضيافة على أهل المنازل للمارة.[النكت للقصاب (٢/٢١٥)].

[١٣٠]قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴾(الكهف:٧٦)

قوله: (فَلا تُصَاحِبْنِي) إشارة إلى أنه – عليه الصلاة والسلام – يرى أنه أعلى منه منْزِلة وإلاَّ لقال: "إن سألتك عن شيء بعدها فلا أصاحبك"

وفيه قيام العذر بالمرة الواحدة وقيام الحجة بالثانية.[فتح الباري لابن حجر (٤٢٢/٨)، تفسير الكهف لابن عثيمين (ص ١١٩)].

[١٣١]قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (الكهف: ٧٨)

العلم على قدر الصبر فلو صبر موسى عليه السلام لعلم أمورا أكثر من تلك الثلاث وهي أسرار القدر في خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار.

ومنها: أنه ينبغي للصاحب أن لا يفارق صاحبه في حالة من الأحوال، ويترك صحبته، حتى يعتبه، ويعذر منه، كما فعل الخضر مع موسى [تفسير السعدي (ص ٤٨٢)].

[١٣٢] قوله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾(الكهف:٧٩).

أن المسكين قد يكون له مال لا يبلغ كفايته، ولا يخرج بذلك عن اسم المسكنة، لأن الله أخبر أن هؤلاء المساكين، لهم سفينة، وأن المسكين أصلح حالاً من الفقير. [تفسير السعدي (ص ٤٨٢)].

[١٣٣]قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾(الكهف:٧٩).

فعل الخضر بخرق السفينة من باب دفع أشد الضررين بأخفهما، ومنه يؤخذ فائدة عظيمة وهي إتلاف بعض الشيء لإصلاح باقيه، وأخذ منه العلماء - رحمهم الله - أن الوقف إذا دَمَر وخرب فلا بأس أن يباع بعضه ويصرف ثمنه في إصلاح باقيه. [تفسير الكهف لابن عثيمين (ص ١٢٢)].

[١٣٤] قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩)﴾ [الكهف: ٧٩].

مفارقات عجيبة بذكر الملوك في هذه السورة: ففي قصة أصحاب الكهف نلمسُ صورة الملك الظالم الذي سلب قومه عقولهم وغصبهم حريّتهم فَأَطَرَهم على الكفر أطْرا.

وفي قصة موسى والخضر نلمح شخصية الملك الغاصب الذي يسرق أموال رعيته ويسلب ممتلكاتهم فلا يجدُ من يتصدَّى له ويرده عن ظلمه، قال تعالى على لسان الخضر – عليه السلام – ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩)﴾ [الكهف: ٧٩].

أما ذو القرنين فإنه نموذجٌ رائعٌ للملك الصالح المتعفف الذي مكَّنه الله في الأرض فأقام ميزان العدل والإحسان، وأزال سلطان الكفر والطغيان، وحمل رايةَ الحقِّ ومصابيح الهدى.[تأملات في قصة أصحاب الكهف لأحمد الشرقاوي(ص ٤٥٠)].

[١٤٥] قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً﴾ (الكهف: ٨٠)

(فَخَشِينَا) أي خفنا، والخشية في الأصل خوف مع علم، وأتي بضمير الجمع للتعظيم.[تفسير الكهف لابن عثيمين (ص ١٢٢)].

[١٣٦]قوله تعالى: ﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً﴾ (الكهف: ٨١)

قوله تعالى: يعني أنَّا إذا قتلناه؛ فإن الله خير وأبقى؛ نؤمل منه تعالى ﴿أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِنْهُ زَكاة﴾ أي في الدين،﴿وَأَقْرَب رُحْماً﴾ أي في الصلة، يعني أنه أراد أن الله يتفضل عليهما بمن هو أزكى منه في الدين، وأوصل في صلة الرحم.

ويؤخذ من ذلك أنه يقتل الكافر خوفاً من أن ينشر كفره في الناس. [تفسير الكهف لابن عثيمين (ص ١٢٢)].

[١٣٧]قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً﴾ (الكهف:)

وهذا من بركة الصلاح في الآباء أن يحفظ الله الأبناء، أن العبد الصالح يحفظه الله في نفسه، وفي ذريته [تفسير السعدي (ص ٤٨٢).]

[١٣٨]قوله تعالى: ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا ﴾ (الكهف: ٨٢).

لم يقل "فأردنا" ولا قال "فأردت"، بل قال: (فَأَرَادَ رَبُّكَ) ؛ لأن بقاء الغلامين حتى يبلغا أشدهما ليس للخضر فيه أي قدرة، لكن الخشية - خشية أن يرهق الغلام أبويه بالكفر - تقع من الخضر وكذلك إرادة عيب السفينة.[تفسير الكهف لابن عثيمين (ص ١٢٢)].

[١٣٩] قوله تعالى: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا ﴾ (الكهف: ٨٢).

استعمال الأدب مع الله تعالى في الألفاظ، فإن الخضر أضاف عيب السفينة إلى نفسه بقوله ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ وأما الخير، فأضافه إلى الله تعالى لقوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ كما قال

إبراهيم عليه السلام ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ وقالت الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ مع أن الكل بقضاء الله وقدره. [تفسير السعدي (ص ٤٨٢)].

[١٤٠]قوله تعالى: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (الكهف: ٨٢) قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ﴾ أي ذلك تفسيره الذي وعدتك به) سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ) (الكهف: الآية٧٨). أي: تفسيره، ويحتمل أن يكون التأويل هنا في الثاني العاقبة، يعني ذلك عاقبة ما لم تستطع عليه صبراً؛ لأن التأويل يراد به العاقبة ويراد به التفسير.[تفسير الكهف لابن عثيمين (ص ١٢٤)].

[١٤١] قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ ﴾ (الكهف: ٨٣)

لماذا سمي بذي القرنين؟

قيل: سمي لشجاعته.

أو لبلوغه قرني مغرب الشمس ومشرقها.

أو لانقراض قرنين من الناس في زمانه.

أو لأنه كان له ضفيرتان من الشعر أو لتاجه قرنان.

والحقيقة أن القرآن العظيم لم يبين سبب تسميته بذي القرنين، لكن أقرب ما يكون للقرآن العظيم "المالك للمشرق والمغرب"، وهو مناسب تماماً؛ حيث قال النبي ﷺ عن الشمس إنها: "تطلع بين قرني شيطان" [١]. [نظم الدرر للبقاعي (١٢/١٢٨)، تفسير الكهف لابن عثيمين (ص ١٢٤)].

---

(١) متفق عليه. البخاري: كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، (٣٢٧٣) . مسلم: كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الأوقات التي نهى عن الصلاة فيها، (٨٢٨) ، (٢٩٠) .

[١٤٢] قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ ﴾ (الكهف: ٨٣)

اختلف في نبوته بعد الاتفاق على إسلامه...والصحيحُ أنه ما كان نبياً ولا ملكاً وإنما كان ملكاً صالحاً عادلاً ملَك الأقاليَم وقهر أهَلها، وهو غير الإسكندر المقدوني الذي كان مشركاً يعبد الأصنام هو ومملكته.[تفسير أبي السعود (٥/٢٤٠)، إغاثة اللهفان ٢/٢٦٤)].

[١٤٣] قوله تعالى: ﴿ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾(الكهف: ٨٦).

قوله:﴿ حَمِئَةٍ﴾ أي عين ذات حمأة، وهو الطين الأسود المنتن، وفي قراءة ﴿حامية ﴾أي عين ماء حارة.

قال ابن كثير: ولا منافاة بين معنييهما، إذ قد تكون حارة لمجاورتها وهج الشمس عند غروبها، وملاقاتها الشعاع بلا حائل و ﴿حمئة﴾ في ماء وطين أسود.[تفسير الطبري (١٥/٣٧٤)، تفسير ابن كثير (٢/٢٦٤)].

[١٤٤] قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً﴾ (الكهف: ٨٤).

أي شيئاً يتوصل به إلى مقصوده، وقوله: ﴿من كل شيء﴾ لا يعم كل شيء؛ لكن المراد من كل شيء يحتاج إليه في قوة السلطان، والتمكين في الأرض، والدليل على هذا أن "كل شيء" بحسب ما تضاف إليه، فإن الهدهد قال لسليمان عليه السلام عن ملكة اليمن سبأ: ﴿وأوتيت من كل شئ﴾ (النمل: ٢٣)، ومعلوم أنها لم تؤت ملك السموات والأرض، لكن من كل شيء يكون به تمام الملك، كذلك قال الله تعالى عن ريح عاد: ﴿تدمر كل شئ﴾ (الأحقاف: ٢٥)، ومعلوم أنها ما دَمَّرت كل شيء، فالمساكن ما دُمِّرت كما قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ﴾ (الاحقاف: الآية٢٥)، [تفسير الكهف لابن عثيمين (ص ١٢٦)].

[١٤٥] قوله تعالى: ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُكْراً (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً﴾ (الكهف:٨٧- ٨٨).

تأمل في حال المشرك بدأ بتعذيبه ثم ثنى بتعذيب الله، والمؤمن بدأ بثواب الله أولاً ثم بالمعاملة باليسر ثانياً، والفرق ظاهر لأن مقصود المؤمن الوصول إلى الجنة، والوصول إلى الجنة لا شك أنه أفضل وأحب إليه من أن يقال له قول يُسر، وأما الكافر فعذاب الدنيا سابق على عذاب الآخرة وأيسر منه فبدأ به، وأيضاً فالكافر يخاف من عذاب الدنيا أكثر من عذاب الآخرة؛ لأنه لا يؤمن بالثاني، [تفسير الكهف لابن عثيمين (ص ١٢٩)].

[١٤٦] قوله تعالى: ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ (الكهف:٨٧).

اجتلاب حرف الاستقبال في قوله: ﴿فسوف نعذبه﴾ يشير إلى أنه سيدعوه إلى الإيمان فإن أصر على الكفر يعذبه. ،والتخيير بين تعذيبهم واتخاذ

الإمهال معهم يمنع أن يكون فيهم مؤمنون حين التخيير، وأتى بنون العظمة في ﴿نعذبه﴾ على عادة الملوك في قولهم: نحن فعلنا.[التحرير والتنوير (١٦/٢٧)].

[١٤٧] قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً﴾(الكهف: ٩٧)

﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ يعني أن يصعدوا عليه؛ لأنه عالٍ؛ ولأن الظاهر أنه أملس.

﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً﴾ لم تأتِ التاء في الفعل الأول ﴿اسطاعوا﴾ وأتت فيه ثانياً، وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، أيهما أشق أن يصعدوا الجبل أو أن يَنقبوا هذا الحديد؟

الجواب: الثاني أصعب ولهذا قال: ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً﴾ لأنه حديد ممسوك بالنحاس[تفسير الكهف لابن عثيمين (ص ١٣٥)].

[١٤٨] قوله تعالى:﴿ قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾(الكهف: ٩٦).

ومنها: مشاطرة الملك العمال في الأعمال ومشارفتهم بنفسه إذا اقتضى الحال، تنشيطا لهمتهم وتجرئة لهم وترويحا لقلوبهم. وقد كان الإسكندر يقاسم الرجال الأتعاب، ويدير العمل بنفس.[محاسن التأويل للقاسمي (٦٩/٧)].

[١٤٩] قوله تعالى:﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾ (الكهف: ١٠٧).

قوله: ﴿كَانَتْ لَهُمْ﴾ هل المراد بالكينونة هنا الكينونة الماضية، أو المراد تحقيق كونها نزلاً لهم؟ كقوله تعالى: ﴿كان الله غفورا رحيما﴾ ؟ نقول: الأمران واقعان، فكانت في علم الله نزلا لهم، وكانت نزلا لهم على وجه التحقيق؛ لأن "كان" قد يسلب منها معنى الزمان، ويكون المراد بها التحقيق.[تفسير الكهف لابن عثيمين (ص ١٤٨)].

[١٥٠] قوله تعالى: ﴿أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾(الكهف: ١١٠).

هذه الجملة حصر، كأنه قال: لا إله إلا واحد، واستفدنا أنها للحصر من "إنَّما"؛ لأن كلمة "إنما" من أدوات الحصر، تقول: "إنما زيد قائم" يعني ليس له وصف غير القيام، وتقول: "إنما العلم بالتعلم" وليس هناك طريق للعلم إلاَّ بالتعلم.[تفسير الكهف لابن عثيمين (ص ١٥٢)].

[١٥١] ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ (الكهف: ١١٠).

إثبات صفة الكلام لله وأن كلمات الله غير قابلة للنفاد ولو كان البحر مداداً لها لنفد البحر ولم تنفد كلمات الله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

150
فائـدة من
سورة الكهف
جمع
د. حاكم بن قاسم الحاكم
150
فائـدة من
سورة الكهف